



العدد الأول (١٩٨٣)

## علم

قصة الدكتور وليم الخنازير

جزت الأحاب السهاوية ... فتحت أنامي الأبواب ، فإذا فردوس ساحر يتبع بالنور ، موسيقاه طيحية شجية ، ونسيمه طري أنيس . انبرت عيني ، وانفتح قلبي وأنا في النعم ، أرى في حلمي ما لا يراه الطيالك ، ويمتلكني شعور إلى الشوة أقرب . انه حذر الاحتمار . خلعت نفسي حجب الجسد ، وطارت مشرقة بعالم الأرواح . يا لروحة ما أرى ... تجاوزت اندعاشي وعبرت ، قلبي صديق حميم ، نحى عن جسده منذ أكثر من عشر سنوات . لم ألمح في فسيات وجهه المتور دليل تعجب أو مفاجأة ، كأن حضورى لديه أمر عادى مرتقب ...

بعد قبلة اللقاء ، أسكنني من ذراعي ، وسرنا متشابكين ، حافني الاقدام ، على طريق لا طريق ، يغطيه عشب ناعم ، وحولنا ما لم تره عين ، ولم تسمع به أذن .

قال صديقي السعيد :

- أعلأ بك في الفردوس . كنت أراك راكضاً على الأرض ، فيبلغ قلبي لمراك ، وأقول في نفسي : متى يتخلص صديقي من عذابه ، ويوفاني إلى هذا المكان ، فتمتج سعادتى بمعادله ؟

أجبهه :

- كنت متوقفاً يا صديقي . أنا سعيد على الأرض . أسرع لأأكل بحري بمشبة الله . ولكنني أعيد فرحاً لأنني لا أحمل ضميري طمعاً أو رجساً من الشيطان .

قال بلهجة المعلم الواصل :

- ما كنت متوقفاً . كنت أرى الشفاء بعيني . تعال معي وانظر .

سار بي في درب جانبي إلى مكان منفسح ، تجتمعت فيه حشود لا تعد من أرواح الجنة ، وهي تفرج كما تفرج في دنيانا على الألعاب الأولمبية .

قلت :

- ما بال هذه الجموع محتشدة ؟

أجاب :

- إنها تفرج على كوكب الأرض وساكنيه .

صوبت نظري إلى حيث يتعلمون ، فرأيت الأرض وسكانها واحداً واحداً ، إلا من كان منهم فاعل بناء أو تحت شجر . ولفتني على الفور ما لفت صاحبي من سرعة جريهم ، فأتوتهم وشبهت ، ثم استدرت قائلاً :

- انهم يسرعون فعلاً ، ويتشابكون في جريهم صباح مساء ، ولكنهم ، في الواقع ، يسرون على نظام يمتهن الثقة والتسبيق . تأمل في أن كل هؤلاء الناس يسعون لأهداف معينة . وكل هذه الأهداف ، بل العوالم الحاصية لكل إنسان ، قلبي للتناغم وتسميم في تقدم العالم الأرضي ، وبلوغ المنهى ... المنهى ... الولادة الجديدة .

فصحك صاحبي وقال :

- لم تراكل شيء بعد . أنظر الساحة على الجهة اليسرى .

نظرت ، وجزعت جزعاً شديداً . رأيت أناساً يتقاتلون بآلة وبغير آلة . رأيت ما تسميه مدافع ، ودبابات ، وطائرات ، وصواريخ ، وبراكين من الحديد والنار ، يتقاذفون بها لغير سبب ظاهر . ثم جثتي منظر رهيب : أهل ضيعة ريفية ، ورجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً ، يقعون على الأرض ويهدون بغير حراك ...

أدبرت ناظري نحو صاحبي مستفسراً .

قال :



- لا تعجب . هؤلاء يموتون بالغاز السام والأسلحة الجديدة التي لا ترى قذاتها ، ولكنك تشاهد أثرها العام .  
فتبرت منغللاً :
- ان ما أراه مؤثر حقاً ، ولكنه نكسة في طريق الحياة المتطورة . انه طاريء وليس أصيلاً كالتقعة السوداء في اللوحة الزاهية .  
فاطمني ، وكأنه يحرص على ان لا تقوته فكرة عظمت :
- أي تطور هذا الذي يؤدي الى اباده وفساد ؟ ألن ينهي أهل الأرض جميعاً الى نزاع عام شامل ، حيناً تأتي الساعة ؟  
أية ساعة ؟
- الساعة الأخيرة . يوم القيامة .
- تقوم القيامة في آخر الدهر لبلورة الوجود الحقيقي ، وفصل الرديء عن الجيد . انها الوسيلة الناجمة لختبة العبور وانقضاء الدهر .  
لا أرى في ذلك تطوراً نحو الأفضل !
- هي سكة الشوه والارتقاء يا صديقي . استنتجها الانسان من قديم . والحياة الى امام مهما اعترض لها من عثرات .  
وماذا تقول في نظرية تيار دو شردان بفساد الحياة من قشرة الأرض مع الايام ؟
- انها فساد الأرض ، وليست فساد الانسان الباقى بروحه وقبته .
- ولماذا يقتل الناس بعضهم بعضاً ، كما نشاهد الآن على وجه البسيطة ؟
- ما قولك أنت في ذلك ، وقد بلغت شفافية الادراك ، بعد ان ترهت الثوب الترابي ؟ لقد اعترفتي نعتاً شقياً وأنا أسرح لتحصيل قوتي وقوتي عيالي . فماذا تقول في هؤلاء الناس الذين يتقاتلون بغير شفقة ولا رحمة ؟
- قال - من غير أن لغارقي الانسانية وجهه البهي :
- هذا لا يدركه إلا الله . الانسان الضعيف يمر في بحيرة قاسية على الأرض ، ليستحق السماء . وبدلاً من ان يتعاون مع أمثاله لبلوغ هذا الهدف ، يتنافس الناس ويتقاتلون لخسارة ما أعد به المتقون صانعوا الخير والسلام .
- قلت :
- لا اعترض على حكمك الله . ولكن ، لماذا شاء الله الانسان هكذا ؟
- قال :
- صنع الله الانسان على مثاله ، وأحبته ، وأكبره ، وأعطاه الحرية التي لا يستحق بغيرها الثواب .
- قلت متأسفاً :
- ما كان أجمل الدنيا لو عاش فيها الكائن البشري ببساطة ، وحكمهم سبحانه وطيبه عليهم في سعيه وعمله ، مطلقاً المبدأ القائل : عامل غيرك كما تريد ان يعاملتك الغير ! ولكن ، هل اكثر الناس مجاهدين وهم لا يعلمون ؟
- قال صاحبي :
- تأمل يا صديقي صفر الكوكب الأرضي ! انه من أصغر الكواكب القبولية . تأمل حجم الجسد البشري ، وقابل بينه وبين عظمة الروح الحادثة فيه ! ماذا يبقى للأرض الفانية لو نظرنا اليها والى سكانها من خلال ما نراه في اللكوت ؟ كم حل البسيطة من الناس في جيل واحد ؟ انهم الآن أربعة مليارات . كم جيل وجيل انتقل عنها منذ خلقها ؟! لو تفكّر الانسان لما رأى الأرض شيئاً ، ولا رأى للزمان الذي يركض فيه أية أهمية . زمان الحياة الأرضية قصير جداً ... لحظات ... ثوانٍ ... ليس للانسان ماضي ولا حاضر . الماضي في الضمير والحاضر بغير . خدأ يموت الانسان وليس بعد غير . الأرض ممر سريع وليست موقراً . هنا المرقر الدائم . هنا الأبد . ولولا حفظ الله وتسامحه لرأيت الفردوس السماوي قاعاً صفصفاً ، لا روح فيه لبني البشر .
- أنتجت بنظري عن الأرض ، التي كادت أهدأ سكانها ، وسرحت بعيداً في الساحة المسبحة التي أقف فيها ، فرأيت من الأرواح ما لا يعد ، حل قلة احتياجاتها الى مكان ، والسعادة الدائمة تطفح كيانها عزماً وإشباعاً متوقفاً . ويختل انصباح الأمر قاهر . تطورت الوجوه جميعاً إلى ، وهنت النفوس نحوي . أنا الغريب ، بأبوك ممدودة على مداها ، تريد دفعي الى القوة العاتقة التي تفصل بين السماء والأرض . فما تعالكت عن الصراخ الذي أيقظني من حلمي الباهر ، وأعادني الى الأرض القاسية التي كنت أراها على حقيقتها ، من بعيد بعيد ...

□ □ □